

سلسلة إصدارات التضامن بمناسبة
المؤتمر الطلابي الإسلامي العالمي للتضامن مع الكويت
الاتحاد الوطني لطلبة الكويت
٦
الاتحاد الوطني لطلبة الإمارات
الله أكبر
الظالم والمظلوم
"في الأزمة الكويتية"
عبد الحميد البلالي


رَفْعُ
عبد الرَّحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سلسلة إصدارات التضامن بمناسبة
المؤتمر الطلابي الإسلامي العالمي للتضامن مع الكويت
الاتحاد الوطني لطلبة الكويت ٦ الاتحاد الوطني لطلبة الإمارات

الظالم والمظلوم

"في الأزمة الكويتية"

عبد الحميد البلالي



مقدمة

في ظرف لم يمر في تاريخ المسلمين مثله،
وفي وقتٍ إنحدرت فيه القيم الإنسانية إلى الحضيض.
وفي زمان أصبح المسلمون لا يجيدون إستخدام السلاح إلا ضد إخوانهم في الدين.

وفي وقت أصبحنا فيه كعرب ومسلمين أحقر أمة، وأصبح الدم المسلم هو أرخص الدماء، وأصبح صوت المدفع أعلى من صوت القيم والمبادىء.

في وقت إرتفعت فيه رايات الباطل من العلمانية والشيوعية، والإباحية، والبعثية، وأصحاب التغريب، وباقي رايات الشيطان، وأصبح رجال هذه الرايات هم الأبطال، وهم الصادقون، وهم الأمناء، وهم التقدميون، وهم المخلصون، وهم الشجعان، وكل من عارضهم، ورجع إلى قيم رب العباد هم المتعصبون الرجعيون الإرهابيون الأصوليون المتخلفون المتآمرون، العملاء.

حتى صدق فينا قول الرسول ﷺ «ستأتى على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قالوا وما الرويبضة، قال الرجل التافه يتكلم في أمر العامة «فأصبح رجال هذه الرايات الباطلة هم المتكلمون في أمر العامة، ويخرج رجل من هؤلاء الذين وصلوا للحكم عن طريق الدماء، دون موافقة من شعب، ومبايعة من أحد، جاءوا ليحكموا بلدهم بالحديد والنار، وبالظلم الذي حرمه خالق السموات على نفسه وتكميم الأفواه. فلا صوت إلا صوتهم، ولا صدق إلا ما يقولون، ومخلص إلا من يخرج من نسلهم.

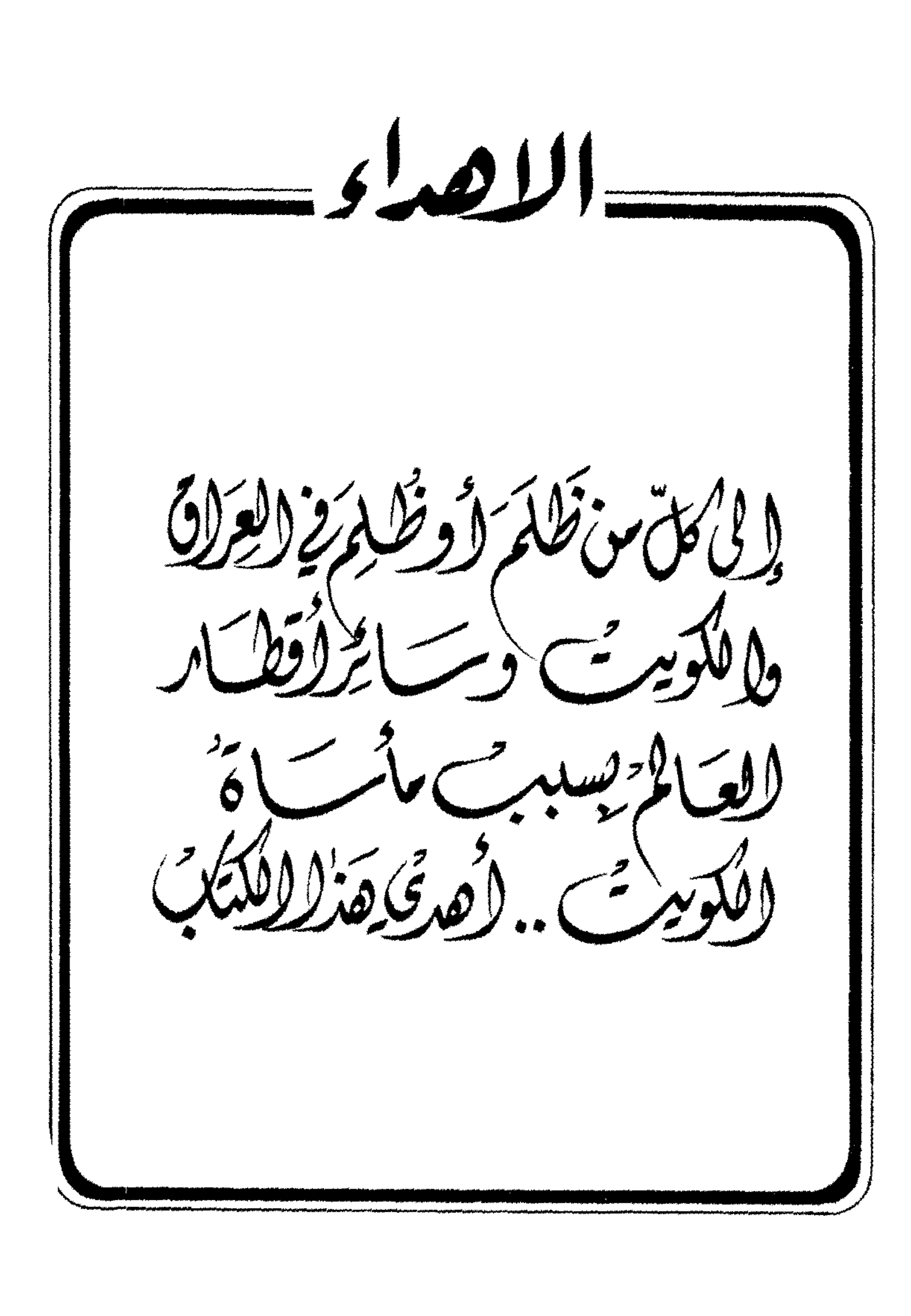
في هذا الوقت من تاريخ الأمة الحالك السواد، يخرج أحد هؤلاء الرويبضات بعد أن قتل الآلاف من الأبرياء من بلده، وفارت في نفسه شهوة الدم، والمال، وعبادة الذات ليتجاوز حدود بلده فيغزو بلداً آمناً، وجاراً صادقاً ووفياً لمبادىء الجيرة، ومعيناً له فيما كان يمر فيه من الأزمات، غزا ذلك البلد الصغير ليحيل سماءه إلى دخان المدافع والراجمات، وشوارعه الجميلة إلى حفر، ومؤسساته وبيوته إلى خرائب، وليقوم بأكبر عملية سطو في التاريخ.

في مثل هذا الوقت دعي الإتحاد الوطنى لطلبة الكويت لعقد المؤتمر الطلابي الإسلامي العالمي، وأصدر هذه

السلسلة من الكتيبات والدراسات، مساهمة منه في إعادة الأمور إلى نصابها، وتوضيحاً للحق بعدما كاد أن يغطى بدجل الباطل، وإعادة لصياغة الفرد على أسس عقائدية قبل خطوة التفكير في إعادة البناء المعماري والاقتصادي. آملين من الله تعالى أن يرفع الغمه، وينتقم من الظالم إنه هو القاهر المنتقم.

الاتحاد الوطني لطلبة الكويت
الاتحاد الوطني لطلبة الامارات




الإهداء
إلى كل من ظَلَم أو ظُلِم في العراق
والكويت وسائر أقطار
العالم بسبب مأساة
الكويت .. أهدي هذا الكتاب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل «ولا تحسبنَّ الله غافلاً عما يعمـلُ الـظالمون، إنما يؤخرهم ليومٍ تشخصُ فيه الأبصار، مهطعينَ مقنعي رؤسِهِم لا يرتدُّ إليهم طرفُهُم وأفئدتُهم هواء» إبراهيم ٤٢

والصـلاة والسـلام على نبينا محمد القائل «إتقوا دعوة المـظلوم فإنها تُحمـل على الغـمام يقـول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» الطبراني بإسناد صحيح.

أمـا بعد.. فإن ما أصاب الشعب الكويتي من جراء الإجتياح العراقي لأراضيه ظلم بكل المعايير الإنسانية، بسبب قرار فرد واحد لا يعرف سوى لون الدم، ولا يرغب برائحة سوى رائحة دماء الأبرياء تنزف أمامه، وتزداد نشوته وهو يرى جثث الأبـرياء من وطنـه وأوطـان الآخـرين تتلبط أمامه في دمائها. ويخطىء الكثير عندما يظنون في زحمة إرتفاع العواطف وهياجها بأن الظالم الوحيد في هذه المأساة هو هذا الطاغية،

وبـالرغم من أنه يأخذ النصيب الأكبر من الظلـم والطغيان ولكنـه ليس الـوحيد على ضوء تعـريف الظلم في كتاب الله تعـالى. وحتى نستطيع الخروج من هذه الأزمة العظيمة التي ألمت ببــلادنـا لا بد من تحديد أدق للظالم والمـظلوم في هذه المأساة، ولنعرف بعدها السبيل للخلاص من هذه المأساة، وما ذلك على الله بعزيز.

عبدالحميد البلالي

الظالم والمظلوم

تعريف الظلم:

من المشهور عند الناس عامة، أن الظلم هو الإستيلاء على حقوق الآخرين بالإكراه، دون رضى منهم، وهذا التعريف وإن كان صحيحاً إلا أنه ليس التعريف الوحيد للظلم ولا هو التعريف الشامل لهذه القضية الهامة في حياة البشر، وعندما نريد أن نحدد معنى الظلم لا بد من الرجوع إلى مرجع لا يختلف عليه إثنان، وهذا الوصف لا ينطبق إلا على الكتاب الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه، ألا وهو كتاب الله الخالد القرآن الكريم والظلم في القرآن يشمل.

(١) تعـدي الحـــدود:

يقول تعالى: ﴿ومن يتعدَّ حدودَ الله فقد ظلم نفسه﴾[١]

فالله تعالى عندما خلق الإنسان حد له حدودا لا يتعداها وأمـره بعـدم تعدى هذه الحدود، وأعد عقابا للمتعدي لهذه الحدود، وهو يعلم سبحانه وتعالى بأن سعادة الإنسان تكمن في إطار هذه الحدود، فإذا ما تعداها أصابته التعاسة والشقاء والقلق والحيرة، ويعلم الخالق سبحانه وتعالى بأن الإنسان إنما يزاول إنسـانيتـه عنـدمـا يتحرك داخل هذه الحدود، فإذا ما تجاوزهـا فإنـه يكون ظالماً لنفسه، لأن هذا التجاوز سيؤدي بنفسه ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى.

فعندما أعطاه البصر حدد له حدود البصر وأباح له النظر إلى ما أحله له من النظر إلى الزوجة والأخوات والأم والجدة والعمة والخالة وبنات الأخ وبنات الأخت وأم زوجته والنظر إلى غير هؤلاء خروج عن الحدود.

وحد حدوداً أخرى للبصر وهو عدم رؤية العورة حتى لمن أبـاح له النـظر إلى وجوههن ماعدا الزوجة، والنظر الى العورات المحرمة خروجاً عن هذه الحدود.

* وحدد حدوداً للسمع فأمره ألا يستمع إلى الغيبة والنميمة

---

(١) الطـــلاق ١

وسقط القول، وكل ما من شأنه إثارة الشهوات من الأغاني الساقطة والشعر الماجن فالوقوع في مثل ذلك خروجاً عن هذه الحدود.

* وحدد حدوداً للسان، فأمره بأن يتكلم بالخير ويبتعد عن الشر. فقال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(٢) فالصمت عندما يفقد الإنسان كلمات الخير أولى من الكلام الذي يؤدي به إلى تجاوز حدود الله فيقع في ظلم نفسه. وإن من الكلمات الخارجة عن حدود الله ما يؤدي بصاحبه أبعد مابين المشرق والمغرب كما أخبر بذلك النبي ﷺ عندما قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»(٣).

وإن من الكلمات الخارجة عن حدود الله الكذب والغيبة والنميمة، والسب والشتيمة، والكفر، والكلام الفاحش الذي يصف محاسن المرأة أو الرجل بغية إثارة الشهوات كالغناء وغيره وغيرها من الكلمات.

* وحد حدوداً للطعام فأحل لنا كل ما خلق سوى أكل الخنزير والميتة والخمر والدم فمن وقع في مثل هذا فقد تجاوز لحدود الله تعالى.

---

(٢) مسلم - مختصر مسلم ٣٢ - جزء من حديث.

(٣) مسلم.

* وحـد حدوداً للقـدم فأمـرهـا ألا تذهب إلى أماكن الشر كالمراقص والخمارات ودور البغي وكل مكـان يصد عن ذكر الله، ويشغل عن الهدف الذي خلق من أجله الإنسان وهو عبادة الله تعالى، فالذهاب إلى هذه الأماني تعدٍ لحدود الله وظلما للنفس.

وهكـذا باقى الأمور قد جعل الله لكل أمر من أمور الإنسان حدوداً يتحرك فيها، ومنهجاً كاملاً ينظم حياته وخط سيره، فالمتجاوز لهذا النهج هو تتجاوز لهذه الحدود وواقع في نوع الظلم يطلق عليه تعالى (ظلم النفس).

(٢) تبديل القـول:

يقول تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾(٤) فسم كل من يبدل قول الله تعالى ظالماً، وهذه الآية نزلت في بني إسرائيل عندما أمرهم الله تعالى بأن يدخلوا من أبواب القرية التي وعدهم بدخولها سجداً وأن يقولوا «حطة» أي يدعوا بأن يحط الله عنهم ذنوبهم ويغفر لهم، وهو تعبير عن شكر الله لنعمة النصر «وإذ قلنا إدخلوا هذه القرية وكلـوا منها

---

(٤) البقرة ٥٩.

حيث شئتم رغداً، وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم، فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾[٥].

ولكنهم دخلوا على مقاعدهم وهم يقولون حنطة حنطة حنطة. كما أورد إبن كثير في تفسيره.

وهذه الآيات تؤخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهي تنطبق على كل من يبدل قول الله تعالى، ويعمل بغير ما يريد.

* فالله قال عن الخمر رجس من عمل الشطيان
فبدل قوماً هذا القول وسموها مشروبات روحية، فعلقوها بالروح وهي تسمية ظالمة لا تؤدي إلى نفس المعنى الذي سماها به الله تعالى.

* والله تعالى قال عن الاتصال الحرام بين الرجل والمرأة فاحشة وزنى فبدل قوماً هذا القول وسموها ممارسة للحب وهي ترجمة حرفية لنفس مسمى الغربيين «Making Love»

* والله تعالى قال عن عدم قول الحقيقة كذباً
فبدل قوماً هذا القول وأطلقوا عليه دبلوماسة

---

(٥) البقرة ٥٨، ٥٩.

* والله تعالى قال عمن يلتزم بكتابه وسنة نبيه ﷺ «ولياً، ومؤمناً، وصادقاً، وعابداً، ومنيباً، وتائباً، ومجاهداً».

فبدل قوماً هذه الأقوال وأطلقوا على كل ملتزم بأوامر الله «متطرفاً، أصولياً رجعياً، إرهابياً، متآمراً، عميلاً، متخلفاً».

وكل قولٍ وأمر مخالف لقول الله تعالى وأوامره ظلماً كبيراً عند الله وتحد لإرادته سبحانه.

(٣) تـرك التحاكـم لكتاب الله:

إذ يقول تعالى في كتابه الكريم ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾(٦).

فحق التشريع لله وليس لأحـد سوى الخـالق لأنه هو أعلم بمن خلق، وبما يسعد البشرية أو يسبب شقاءهم فعندما يقـوم بشر بهذا الدور فكأنما يشارك الله في أحد خصائصه، فيكون من أكبر درجات الظلم التي نهى الله عنها.

يقـول صاحب الظلال ﴿بهذا الحسم الصارم الجازم،

---

(٦) المـــائدة ٤٥.

وبهـذا التعميم الـذي تحمله «من» الشرطية وجملة الجـواب. بحيث يخرج من حدود الملابسة والزمان والمكان، وينطلق حكماً عاماً، على كل من لم يحكم بما أنزل الله، في أي جيل، ومن أي قبيل..

والعلة هي التي أسلفنا .. هي أن الذي لا يحكم بما أنزل الله، إنما يرفض ألوهية الله. فالألوهية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمية التشريعية. ومن يحكم بغير ما أنزل الله، يرفض ألوهية الله وخصائصها في جانب، ويدعي لنفسه هو حق الألوهية وخصائصها في جانب آخر».[٧].

(٤) الإصـرار على المعصية:

يقول تعالى ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾[٨]

من رحمـة الله بالبشر أنـه لم يؤاخـذ المخطىء والناسي والمستكره والجاهل وذلك لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[٩]

---

(٧) الظلال ٢/٨٩٨

(٨) الحجـرات ١١.

(٩) الطبراني باسناد صحيح.

ولكن عندما تبين الحقائق، وتتضح الحدود فلا يبقى بعد ذلك عذر لمقترف المعصية، خاصة بعد أن تقوم عليه الحجة مرات ومرات بجميع السبل. ولقد دلت كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بأن المعاصي والإصرار عليها سبب رئيسي في جلب المصائب والعقوبات الإلهية.

يقول النبي ﷺ فيما أخرجه الترمذي «لا يصيب عبداً نكبة، فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر. قال وقرأ «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير»[١٠]

وأخرج الطبراني قول النبي ﷺ «إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأسه بأهل الأرض وإن كان فيهم صالحون يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يرحبون إلى رحمة الله ومغفرته»[١١].

وكان الله رضى الله عنه يقول «ما نزل بلاء إلا بذنب، وما دفع إلا بإستغفار».

ولقد نبه دعاة الخير في الكويت أصحاب القرار مراراً على معاصٍ كانوا يخافون أن تبتلى الكويت بسببها، وللحق

---

(١٠) رواه الترمذي بإسناد حسن.
(١١) الطبراني باسناد صحيح.

نقول أنه كانت توجد أحياناً إستجابة، ولكن وللأسف الشديد في معظم الأحيان كان يوجد إصرار على هذه المعاصي، وذلك مثل الفرق الموسيقية الماجنة الكثيرة التي تأسست في الكويت والمستجلبة من الخارج، ورقص الفتيات البالغات بالزينة الكاملة في المناسبات القومية، والبرامج التلفزيونية الهابطة، والربى الذي يغطي البنوك، والشقق المفروشة للدعارة في الكثير من المناطق، وإزدياد ظاهرة المغازلة والنوادي البحرية، وصالة التزلج، وغيرها من أمور المعاصي التي كان الدعاة ينهون عنها من خلال المنابر والصحف واللقاءات مع المسؤولين، والتي تثمر أحياناً وفي كثير من الاحيان لا تثمر، بل يصر عليها، وتفتعل حملة صحفية شديدة على القائمين بالإنكار تستهزىء فيهم، وتصفهم بأشد الألفاظ، وهاهم الآن يقفون في الساحة ثابتين، يقومون بالحفاظ على ما يستطيعون من بلدهم، وخدمة أهله، وإدارة أمورهم الإجتماعية والإقتصادية، فهم الذين يثبتون الناس، ويطمئنونهم، وهم الذين يخبزون الخبز ويوزعونه على الناس، وهم الذين يقومون بحراسة الضواحي ليلاً، وهم الذين يجمعون القمامة، ويحرقونها، وهم الذين يحفرون القبور، ويدفنون الموتى.

(٥) مـوالاة الكافـرين:

يقـول تعـالى ﴿يا أيهـا الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخـوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾[١٢].

يقول إبن كثير ﴿أمر الله تعالى بمباينة الكفار به وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهى عن موالاتهم إن إستحبوا أي إختاروا الكفر على الإيمان﴾[١٣].

ويقـول تعالى ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الـدين وأخـرجـوكم من دياركم وظـاهروا على إخراجكم أن تولوهم، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾[١٤].

يقول سيد رحمة الله عليه..

«وإلى أن يتحقق وعد الله الذي دل عليه لفظ الرجاء رخص الله لهم في موادة من لم يقاتلوهم في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم. ورفع عنهم الحرج في أن يبروهم، وأن يتحروا العدل في معاملاتهم معهم فلا يبخسونهم من حقوقهم شيئاً. ولكنـه نهى أشـد النهي عن الـولاء لمن قاتلوهم في الـدين

---

(١٢) التوبـة ٢٣.
(١٣) تفسير ابن كثير ٢/٣٥٦.
(١٤) الممتحنـة ٩.

وأخرجوهم من ديارهم وساعدوا على إخراجهم. وحكم على الذين يتولونهم بأنهم هم الظالمون.. ومن معاني الظلم الشرك بالرجوع الى قوله تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.. وهو تهديد رهيب يجزع منه المؤمن، ويتقي أن يدخل في مدلوله المخيف!

وتلك القاعدة في معاملة غير المسلمين هي أعدل القواعد التي تتفق مع طبيعة هذا الدين ووجهته ونظرته إلى الحياة الإنسانية، بل نظرته الكلية لهذا الوجود، الصادر عن إله واحد، المتجه إلى إله واحد، المتعاون في تصميمه اللدني وتقديره الأزلي، من وراء كل اختلاف وتنويع.

وهي أساس شريعته الدولية، التي تجعل حالة السلم بينه وبين الناس جميعاً هي الحالة الثابتة، لا يغيرها إلا وقوع الاعتداء الحربي وضرورة رده، أو خوف الخيانة بعد المعاهدة، وهي تهديد بالاعتداء، أو الوقوف بالقوة في وجه حرية الدعوة وحرية الاعتقاد. وهو كذلك اعتقاد. وفيما عدا هذا فهي السلم والمودة والبر والعدل للناس أجمعين». [١٥]

ولقد ثبت فيما لا يدع مجالاً للشك المؤامرة التي حيكت ومازالت تحاك للقضاء على كل شيء إسلامي، وخير دليل على ذلك وجود اسرائيل ومساعدة أمريكا لتثبيتها وزيادة قوتها،

---

(١٥) الظلال ٦/٣٥٤٤، ٣٥٤٥.

وتشريد أهلنا في فلسطين وأفغانستان، وإضطهادهم في الفلبين والهند والدول الشيوعية وهذا هو سبب نهى الله تعالى المؤمنين من موالاة الكـافرين، سواءاً كان من اليهود أو النصارى أو عبدة الأوثان أو من لا يؤمن بشيء، وولاية هؤلاء وتقليدهم وحبهم، وإتباعهم بقوانينهم وعاداتهم وتقاليدهم ظلم في ميزان الله كبير.

خلاصـــة التعريـــف:

ونخلص من هذه التعاريف القرآنية بأن الظلم لا يقتصر بأخذ حقوق الآخرين بالإكراه، وإن كان هذا من أكبر صور الظلم، ولكنه يشمل ممارسات عدة في هذه الحياة، وعلى هذا يكون:

- ظالماً من تعدى حدود الله التي وضعها للخلق.
- ظالماً من بدل قولاً بغير قول الله الذي أمر به العباد.
- ظالماً من ترك التحاكم لكتاب الله وتحاكم إلى القوانين البشرية.
- ظالماً من أصر على المعاصي وترك التوبة.
- ظالماً من والى أعداء الله من الكفار ووقف معهم ضد المؤمنين.

الابتعاد عن الظالمين

ونحن كشعب عشنا وأحسسنا بمرارة الظلم بعد أن شردنا من ديارنا وهذا يستدعي أن ندرك الآن قبل أي وقت آخر معنى الظلم بعد أن ذقنا عذابه وما نزال، ورأينا من خلال ممارسة هذا الطاغية كيف تتعذب الشعوب بطغيان الحاكم الفرد، حتى يجعلنا أكثر إحساساً بمن قتلوا وشردوا واضطهدوا في أنحاء العالم كفلسطين وأفغانستان، وإخواننا الأكراد وغيرهم كثير، لذلك كله نهانا الله تعالى أن نناصر الظالمين، ونحن نعلم أنهم ظلمة، وهددنا بأن السكوت عن الظلم ومناصرة الظالم تؤدي إلى عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة.

يقول تعالى ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾[١٦].

---

(١٦) هـود ١١٣

قال الإمـام الطبري «يقول تعالى ذكره: ولا تميلوا أيها الناس إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم، فتمسكم النار بفعلكم ذلك، وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم، ووليّ يليكم (ثم لا تنصرون) يقـول: فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله، بل يخليكم من نصرته، ويسلط عليكم عدوكم»(١٧).

ويؤيد الحافظ إبن كثير هذا التفسير إذ يقول «وقال إبن جرير الطبري عن إبن عباس: ولا تميلوا إلى الذين ظلموا، وهذا القول حسن، أي لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بأعمالهم»(١٨).

وقال الامام القرطبي «الركون حقيقة الإستناد والإعتماد والسكون إلى الشيء والرضا به، قال قتادة: معناه لا تودوهم ولا تطيعوهم»(١٩).

ويقول الإمام الرازي «قال المحققون: الركون المنهى عنه هو الـرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين تلك الطريقة وتـزيينهـا عندهم وعند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الأبواب، فأما مداخلتهم لدفع حذر أو إجتـلاب منفعة عاجلة

---

(١٧) جامع البيان ٧/١٢٦.
(١٨) تفسير القرآن العظيم ٢/٤٧٨.
(١٩) الجامع لأحكام القرآن ٩/١٠٨.

فغير داخل في الركون»[٢٠].

ويقول الزمخشري:

«والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم، وتأمل قوله ـ ولا تركنوا ـ فإن الركون هو الميل اليسير، وقوله ﴿إلى الذين ظلموا﴾ أي إلى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين. وحكى أن الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه، فلما أفاق قيل له، فقال: هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم؟ وعن الحسن رحمه الله: جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا. ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك، أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء، قال الله سبحانه ـ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ـ واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوّك

---

(٢٠) التفسير الكبير ١٨/٧٢.

ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك، اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم، وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلما يصعدون فيك إلى ضلالهم، يدخلون الشك بك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال فيهم الله ـ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ـ فإنك تعامل من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك فقد دخله سقم، وهيء زادك فقد حضر السفر البعيد ـ وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء ـ والسلام. ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء؟ فقال لا، فقيل له يموت، فقال: دعه يموت»[٢١].

ويقول الألوسي

«ذهب أكثر المفسرين، قالوا: وإذا كان حال الميل في الجملة إلى من وجد منه ظلم ما في الافضاء إلى مساس الناس النار فما ظنك بمن يميل إلى الراسخين في الظلم كل الميل. ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم. ويتعب قلبه وقالبه في

---

(٢١) الكشاف ٢/٢٩٦.

إدخال السرور عليهم. ويستنهض الرجل والخيل في جلب المنافع اليهم. ويبتهج بالتزيي بزيهم والمشاركة لهم في غيهم. ويمد عينيه إلى ما متعوا به من زهرة الدنيا الفانية. ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية غافلا عن حقيقة ذلك ذاهلا عن منتهى ما هنالك؟! وينبغي أن يعدّ مثل ذلك من الذين ظلموا لا من الراكنين اليهم بناءاً على ما روى أن رجلا قال لسفيان: إني أخيط للظلمة فهل أعدّ من أعوانهم، فقال له: لا أنت منهم والذي يبيعك الإبرة من أعوانهم» [٢٢].

ويقول سيد قطب رحمه الله:

«لا تستندوا ولا تطمئنوا إلى الذين ظلموا. إلى الجبارين الطغاة الظالمين، أصحاب القوة في الأرض، الذين يقهرون العباد بقوتهم ويعبِّدونهم لغير الله من العبيد.. لا تركنوا إليهم فإن ركونكم إليهم يعني إقرارهم على هذا المنكر الأكبر الذي يزاولونه» [٢٣].

ويقول سعيد حوى

«وأفظع الظلم تعطيل كتاب الله ورفضه، وتجد الكثيرين من المسلمين يركنون إلى من عطل كتاب الله ورفضه،

---

(٢٢) روح المعاني ٦/١٥٤ جزء الثاني عشر.
(٢٣) الظلال جزء ١٢/١٩٣١.

ومن الظلم الإعتداء على عباد الله، وكل أنواع الظلم لا يجوز الركون لأهلها، بل تجب معاداتهم»[٢٤].

ونخلص من هذا بأن المراد بالركون إلى الظلمة يتحدد بالمعاني التالية:

(١) الميل إلى أقوالهم.
(٢) الرضا بأعمالهم.
(٣) الإستعانة بهم.
(٤) الإعتماد والسكون لهم.
(٥) مودتهم.
(٦) طاعتهم.
(٧) تحسين طريقتهم وتزيينها عندهم وعند غيرهم.
(٨) مصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم.
(٩) التشبه بهم وتمنى ما عندهم.

وقفة مع الراكنين للظلمة:

والراكنون للظلمة في هذه القضية فئتان:

الأولى: هم أصحاب القرار في وطني والذين ركنوا إلى حكام أفغانستان الظلمة، ولم يعترفوا بحكومة المجاهدين الأفغان

(٢٤) الأساس في التفسير ٥/٢٦١٢.

وركنوا إلى جزار حماه ولم يستنكروا عليه ما قام به من مجازر. وركنوا إلى تجار المستخدمين فلم يأخذوا على أيديهم عندما كانوا يمنعون رواتب البنغاليين لأشهر طويلة. وهذا كله سبب من أسباب وقوع هذا البلاء على الوطن.

فكما جاء في التفسير، أن الركون هو الميل اليسير لمن وجد فيه شيء من الظلم، فكيف بمن ينغمس ـ ولا يميل فقط ـ بمصاحبة الظالمين والرضا بما يقومون فيه من ظلم دون إنكار عليهم.

الثانية: والفئة الثانية هم الذين يقفون مع طاغية العراق في ظلمه بحجة أنه ضد أمريكا وإسرائيل ونقول لهم ما قلنا للفئة الأولى. إذا كان النهى منصب على الميل اليسير لمن فيه شيء من الظلم، فكيف بمن إنغمس في الظلم حتى النخاع.

أوليس تعطيل حكم الله ظلم عظيم؟
أوليس خنق الحريات ظلم؟
أوليس ملاحقة وتصفية الدعاة للخير ظلم؟
أوليس تقتيل الأبرياء من المدنيين من الأكراد في حلبجة ظلم؟
أوليس تشريد شعب دونما ذنب ظلم؟
أوليس ترويع الأبرياء وتحطيم منشآت بلد مسلم ظلم؟
أوليس سرقة ونهب وتفريغ كل ما في بلد مسلم ظلم وجريمة؟

أوليس إكراه المتدينين بحلق اللحى بظلم؟
أو لا تعدون في قواميسكم هذا من الظلم؟؟

ماذا ستقولون لله تعالى يوم القيامة عندما يسألكم عن هذا الكم من الظلم لماذا سكتم عنه؟؟

وربما كانت حجتكم أن هذا الإسناد لهذا الظالم، لدفع ظلم أكبر وهو أمريكا، وقياساً بالقاعدة الأصولية، إحتمال أخف الضررين لدفع أشدهما.

ونحن نقبل بهذا الأمر، ولكن نطالب بشيئين أولهما نريد ما يثبت أنكم تعتبرون إجتياح الكويت (مضرة) وظلم، وتضعون ذلك في سعيكم وخطتكم، ولكن للأسف الشديد ما رأينا منكم سوى إستنكار التواجد الأمريكي، مع التجاهل الشديد والمؤلم لشعب مشرد فعل هذا الطاغية فيه الأفاعيل، واسألوا التقاة من الذين خرجوا من الكويت ماذا يقولون. مع أننا لا ننطلق من عاطفة كما نتهم، بل ننطلق من هذه الموازين الشرعية التي بين أيديكم.

والشيء الثاني الذي نطلبه هو ضمان واحد لا أكثر، بأن هذا الطاغية يريد فعلاً حرب أمريكا وضرب إسرائيل ولو كان هذا صحيحاً لرد على إسرائيل عندما أغاروا على العراق ودمروا أحد المصانع النووية؟

* ثـم لا تنصـرون :

وكما أشار المفسرون في تفسيرهم لآية الركون، بأن الذي يركن للظالمين يسلبه الله النصر على أعدائه بسبب ركونه للظالمين وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تبين صفات الذين يمنحهم الله تعالى النصر والتمكين وشروط النصر.

إذ يقول تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾(٢٥).

يقول سيد رحمه الله:

﴿وكيف ينصر المؤمنون الله، حتى يقوموا بالشرط وينالوا ما شرط لهم من النصر والتثبيت؟

إن لله في نفوسهم أن تتجرد له، وألا تشرك به شيئاً، شركاً ظاهراً أو خفياً، وألا تستبقي فيها مع أحداً ولا شيئاً، وأن يكون الله أحب إليها من ذاتها ومن كل ما تحب وتهوى، وأن تحكمه في رغباتها ونزواتها وحركاتها وسكناتها، وسرها وعلانيتها، ونشاطها كله وخلجاتها. فهذا نصر الله في ذوات النفوس.

وإن لله شريعة ومنهاجاً للحياة، تقوم على قواعد وموازين

---

(٢٥) محمد ٧ .

وقيم وتصور خاص للوجود كله وللحياة. ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته ومنهاجه، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء، فهذا نصر الله في واقع الحياة﴾.[٢٦]

فهل تنطبق هذه الصفات على طاغية العراق أو من شابهه في سلوكه الشخصي وفي نظام حكمه؟ وهل توجد آثار تلك الصفات على أرض الواقع في العراق؟ فكيف يعطى النصر والتمكين من لا توجد فيه هذه الصفات بل يوجد ما هو ضدها؟!!

ومثل هذه الآية يقول تعالى ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾[٢٧]. ويبين تعالى في موضع آخر أحد أبرز صفات المستحقين للنصر ألا وهي الإيمان. إذ يقول تعالى:

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾[٢٨].

ويقول تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾[٢٩].

---

(٢٦) الظلال ٦/٣٢٨٨.
(٢٧) الحج ٤٠.
(٢٨) غافر ٥١.
(٢٩) الروح ٤٧.

من هم المظلومون

المظلومون في هذه الأزمة كثير، وليس كما يتصور البعض بأنهم فئة واحدة. وأبرز هؤلاء المتضررين

١) أهل الكويت :

فلقد إكتسحت جيوش البغي بلادهم عند الفجر فزعزت الأمن، ونشرت الرعب، ونسفت وأحرقت البيوت، وقتلت الأبرياء بطرق مروعة ما عهدها الكويتيون إلا من خلال أفلام الرعب أو القصص البوليسية، وتشرد مئات الآلاف من بيوتهم بسبب الذعر، والفرار بدينهم وأعراضهم، تاركين وراءهم الأموال والبيوت والملابس، وكل شيء لينجوا بأجسادهم فحسب، ونهبت هذه الجيوش مالم يخطر على البال، حتى أعمدة النور من بعض المناطق وكمبيوترات الوزارات،

وطاولات الطلبة، وكابلات الكهرباء وأموال البنوك، وانتهز اللصوص والعصابات هذه الفرص بعد أن أخرجوهم من السجون وعاثوا في الأرض فساداً زيادة على فساد الجيش الغازي، وتفرقت الأسر، فشيء منهم في الكويت وقسم آخر في بلاد الله الواسعة، لايدري ماذا حدث للقسم الآخر، وشح الطعام، بل وسرقت من المخازن وتراكمت أكوام القمامة في المناطق، وانتشرت الأمراض بسببها، وسرقت أجهزة المتسشفيات وأسرة المرضى، ومات الكثير من المرضى لسوء العناية الصحية. هذه بعض المظالم التي تعرض لها أهل الكويت قاطبة، وهو لاشك بأنه ظلم بجميع المقاييس الانسانية.

٢) الفلسطينيون المقيمون:

وثانى اكبر فئة ظلمت بسبب هذا الغزو هم الفلسطينيون، ومما زاد من مأساتهم، أن هذا الطاغية غرس إسفين الفرقة والحقد بين الشعبين الكويتي والفلسطيني، وذلك عن طريق جلب أعداد كبيرة من الفلسطينين الموالين لطاغية العراق والذين لايعرفون ديناً ولا قيماً والذين إمتلأت قلوبهم سواداً وحقداً على الشعب الكويتي، وجعلهم يقومون بالتفتيش عند الحواجز مما جعل الكثير من الكويتين يتوهمون بأن هؤلاء من

المقيمين، والحق يرويه الكثير من الثقات القادمين بأن هذا مجافٍ للحقيقة، وأن أكثر الفلسطينين مع الكويتين في محنتهم قلباً وقالباً، بل أن بعضهم شارك رجال المقاومة ولجان الخير والتكافل معرضا نفسه للقتل في سبيل إحقاق الحق.

وللأسف الشديد فإن الكثير من العوام خارج الكويت أصبح ينظر الى الفلسطينين نظرة حقد وريبة، بسبب مواقف قادة المنظمة من هذه الأزمة، بل إن بعض الدول وللأسف الشديد أصبحت تضيق عليهم الخناق في كل شي،ء وهذا أمر لايجوز شرعاً، والله تعالى يقول: «ولا تزر وازرة وزر أخرى»[٣٠].

٣) أهل العراق:

فلقد قاطع العالم كلهُ العراق بسبب ما أقدم عليه طاغيتهم، وأصبح المواطن العراقي غير مرغوب فيه في معظم أقطار الأرض، وضويق على الكثير منهم في رزقهم وأعمالهم في الكثير من الأقطار، والعراق مهدد بأي لحظة بأن يهاجم من قبل أمريكا وتتحطم بنيته الإقتصادية تماماً، وربما مات بسبب ذلك مئات الآلاف من الأبرياء، والذين ظلموا قبل الآزمة وبعدها، ولم يذوقوا طعم الراحة منذ سنين.

---

(٣٠) فاطر ١٨

المستخدمون من الآسيويين:

وهؤلاء هم الذين كانوا يخدمون في المنازل أو شركات التنظيف في الوزارات والشركات، وتبلغ أعدادهم عشرات الآلاف. خرج معظم هؤلاء من الجحيم متجهين إلى حدود الأردن، وتجمع هناك عشرات الآلاف من غير مأوى ولا مطعم، ومات الكثير منهم تحت أشعة الشمس الحارقة، ومن شدة الجوع، وانتشرت بينهم الأمراض بسبب نقص العناية الصحية، ومازالوا يتجمعون بالآلاف في صحراء الأردن.

٥) المصريون في العراق:

وبسبب موقف الحكومة المصرية من الأزمة تعرض الكثير من العاملين المصريين في العراق للإضطهاد والتضيق، وبعضهم تعرض للتعذيب والقتل، وصودرت أموال البعض، واتجه الآلاف منهم عبر الصحراء إلى حدود الأردن، للنجاة من ردة الفعل العراقية إتجاهم، ولتضاؤل فرص العمل هناك.

٦) الشعب الأفغاني:

سواءاً المجاهدين منهم أو المهاجرين فقد كان لهؤلاء معونات

كثيرة تأتيهم من لجان الخير في الكويت ولقد تضرر هؤلاء كثيراً بسبب توقف الدعم الذي كانوا يتلقونه من هذه اللجان وكانت غالب هذه المعونات تصرف على تعليم أبناء المهاجرين وتنفق على معالجة الأمراض اليومية وجرحى المعارك وتنفق على التغذية، وعلى دعم الجهاد في الداخل، وغيرها من المصارف.

٧) الأفارقة:

فلقد كان للجان الخير في الكويت دور بارز في نشر الإسلام ورعاية فقراء المسلمين من الناحية الصحية والغذائية والتعليمية، ولا شك أن الضرر المترتب على توقف هذه الرعاية كبيراً جداً، ويصب لصالح مؤسسات التنصير في تلك القارة المترامية الأطراف.

٨) يتامى العالم:

وكان للجان الخير في الكويت نشاط واضح لرعاية اليتامى في العالم العربي والإسلامي، وخاصة في لبنان وفلسطين والهند وأفريقيا وأفغانستان، ولقد إنقطعت جميع هذه المعونات بسبب الغزو، وتقول بعض الإحصائيات أن هذه اللجان كانت ترعى ما يقارب خمسين ألف يتيم في العالم، ولا يعلم أحد إلا الله المأساة التي ستصيبهم بعد إنقطاع تلك المعونات.

٩) الفلسطينيون في فلسطين:

وهؤلاء أيضاً فئة ظلمت وتضررت بسبب هذه الأزمة، لأنها هي الأخرى كانت تتلقى الكثير من المعونات من لجان الخير في الكويت، وخاصة المتضررين بسبب الإنتفاضة، ولقد أرسل الإتحاد الوطنى لطلبة الكويت وفداً لتقديم المعونات لبعض المخيمات في الأردن قبل أسابيع قليلة من الغزو، كل هذه المساعدات قطعت بسبب هذه الأزمة.

* مظالم عامة قبل الأزمة:

وهي فئات مظلومة بشكل عام كالمستخدمين في شركات النظافة والذين يمنعون رواتبهم لأشهر، والمطرودين من العمل بسبب قولة الحق في منابر الجمعة، والذين أنهيت خدماتهم، وقد خدموا الوطن أكثر من ثلاثين سنة ولم يمهلوهم بالبقاء في الوطن أكثر من ٤٨ ساعة، والذين اصطلوا بنار الأجارات المرتفعة، فكانوا يضعون رواتبهم في الأجار فقط والمظلومين بسبب الواسطة فأخذت حقوقهم وأعطيت للآخرين وبعض المظلومين بسبب قوانين الجنسية وغيرها من القوانين، وآخرين كثير.

* دعـاء المظلـوم:

ودعـاء المظلوم من أخطر ما يواجه الظالم، ودعاؤه من أفتك أنواع الأسلحة التي يواجه بها الظالم، فهو لا يرد من قبل مالك السموات والأرض إذ يقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح الذي أخرجه الطبراني «إتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحمل على الغمام يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين».

* ويقول ﷺ في الحديث الذي أخرجه الحاكم بإسناد صحيح « إتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة».

ويقـول النبى ﷺ في الحـديث الذي أخرجه الإمام أحمد باسناد حسن «إتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب».

فالفئـة المـظلومة قبل الأزمة كانت دائمة الدعاء على من ظلمها، ولعل أحد أسباب وقوع هذا البلاء العظيم هو دعاء هؤلاء المظلومين وإن كانوا لا يتمنون ما حدث. والفئة المظلومة بسبب الأزمـة تدعوا هي الآخرى على المسبب لهذا الظلم، وسنرى إستجابة دعائهم على هذا الطاغية.

عقوبة الظالم

أولاً : في الدنيا :-

وللظالم عقوبات كثيرة في الدنيا، ينتقم الجبار تعالى منه، لأنه إتصف بصفة حرمها الخالق على نفسه، ومن رحمته سبحانه وتعالى أن تكون بعض هذه العقوبات الدنيوية غير مميتة، لتكون سبباً في رجوع الظالم إلى ربه، وإذا أصر على معاصيه ولم يرجع إلى الله أخذه الله الأخذة القاصمة، فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون. ومن هذه العقوبات:

هلاك القرى :

يقول تعالى «وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة»[31] يقول

(٣١) الأنبيار ١١.

العلامة الألوسي « وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بتفريق الأجزاء وإذهاب إلتئامها بالكلية كما يشعر به الإتيان بالقاف الشديدة من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط مالا يخفى »[٣٢] وهذا العذاب والتدمير الذي يحدث في هذه القرى إنما يحدث بسبب ظلم أهلها سواءاً بالإعراض عن كلام الله، أو بالمعاصى والإصرار عليها، أو أخذ حقوق الآخرين، وغيرها من ألوان الظلم التي ذكرت في القرآن الكريم ويؤكد الله تعالى هذا الأمر في آية أخرى، إذ يقول تعالى، «ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا»[٣٣].

أنواع الإهلاك :

أ) الإستئصال:

إذ يقول تعالى «فقطع دابر الذين ظلموا»[٣٤].

يقول الإمام القرطبي « والمعنى هنا قطع خلفهم من نسلهم، وغيَّرهم فلم تبق لهم باقية، قال قطرب: يعنى أنهم استؤصلوا وهلكوا»[٣٥] وهؤلاء أقوام قد تبلغ أعدادهم

---

(٣٢) روح المعاني ١٥/٩ جـ ١٧.
(٣٣) يونس ١٣.
(٣٤) أنعام ٤٥.
(٣٥) تفسير القرطبي ٤٢٧/٦.

بالمـــلايين، يبتليهم الله بالضراء فلا يعـودوا إليه، ويبتليهم بالسراء فيزيدوا إصراراً على معاصيهم، حتى إذا تبلد الشعور عندهم، ولم يستوعبوا الأهداف الربانية للبلاء قطع دابرهم فلا يبقى منهم أحد لا صغيراً ولا كبيراً، ولا تبقى لهم ذكرى بعد ذلك إلا ذكريات الإهلاك والتي تكون عبرة لمن بعدهم حتى يبتعدوا عما كانوا يعملون.

ب ـ الصيحـــة:

يقـول تعـالى «وأخـذ الـذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمـين»[٣٦] ذكـر الإمام الرازي قولين في هذه الصيحة الأول قول إبن عبـاس عنهـما «المـراد الصـاعقـة، الثـاني: الصيحـة، صيحـة عظيمـة هائلة سمعـوهـا فماتوا أجمع منها فأصبحوا وهم موتى جاثمين في دورهم ومساكنهم، وجثومهم سقوطهم على وجوهم»[٣٧] ثم يطرح الإمام الرازى تساؤلاً عن السبب في كون الصيحة موجبة للموت فيجيب «أن الصيحة العظيمة إنما تحدث عند سبب قوي يوجب تموج الهواء، وذلك التموج الشديد ربما يتعدى الى صماخ الإنسان فيمزق غشاء الدماغ فيورث الموت، والثاني: أنها شيء مهيب أوجبت الموت،

---

(٣٦) هـــود ٦٧.

(٣٧) التفسير الكبير ١٨/ ٢١، ٢٢.

والثالث: أن الصيحة العظيمة إذا حدثت من السحاب فلابد وأن يصحبها برق شديد محرق، وذلك هو الصاعقة التي ذكرها ابن عباس رضى الله عنهما»[٣٨].

ج) الرجـــــز:

يقول تعالى «فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون»[٣٩] يقول القرطبي «الرجز : العذاب»[٤٠] ولم يذكر لون العذاب الذي أصابهم به فقد يكون صيحة أخذتهم، وقد يكون طاعونا إستئصلهم وقد يكون صاعقة أحرقتهم، وقد تكون عاصفة كسرت وهدمت بيوتهم، وقد يكون زلزالاً أو بركاناً وعموماً فإن معنى الرجز هو العذاب، وقد يكون أي شيء يتعذب به الإنسان من ألوان العذاب والعقوبات سواء كان عذاب إقتصادي أو إجتماعي أو نفسي أو إنتشار أمراض، أو تسليط ظالم، أو إنتزاع أمن وما شابهه.

د) عـــذاب المـــوت :

يقول تعالى «ولو ترى الظالمون في غمرات الموت والملائكة

---

(٣٨) التفسير الكبير ١٨/ ٢١/ ٢٢.

(٣٩) البقــرة ٥٩.

(٤٠) تفسير القرطبي ١/ ٤١٧.

باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون»[41].

يقول القرطبي «في غمرات الموت أي شدائده وسكراته، والغمرة الشدة، وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، والملائكة باسطوا أيديهم بالعذاب ومطارق الحديد، وهم يقولون لهم أخرجوا أنفسكم، أي خلصوها من العذاب إن أمكنكم»[42] وبينما هم في سكرات الموت وعذابه وآلامه وشدته، يأتي لهم التقريع من الملائكة زيادة على العذاب الذي يتلقونه والتخويف ليضاف هذا العذاب النفسي على العذاب الجسدي فيكون أشد إيلاماً وعذاباً للظالمين، وكل هذا قبل عذاب القبر الذي ينتظرهم وعذاب الآخرة.

* ثانياً ـ في الآخرة :ـ

وعقوبات الآخرة أكثر وآلم من عقوبات الدنيا، بل إنها لا تقارن بعقوبات الآخرة حيث يعجز اللسان عن وصفها، والقلم عن التعبير عنها، لأنها لم ترها عين لتصفها ولم تسمعها أذن ولم تخطر على بال بشر، وليس لنا مصدر في وصفها سوى

---

(٤١) الأنعام ٩٣.

(٤٢) تفسير القرطبي ٧/٤١ بتصرف.

القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومن هذه العقوبات.

١) عدم التخفيف للعذاب:

فعذاب الآخرة في زيادة دائمة، وكل يوم يزيد في عذابه عن اليوم الذي سبقه، فتكون أمنى أمنيات الظالمين أن يخفف عنهم العذاب يوماً واحداً «وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب»(٤٣).

قال الحافظ ابن كثير: «لما علموا أن الله عز وجل لايستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم، بل قد قال: ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾ سألوا الخزنة وهم كالسجانين لأهل النار أن يدعوا لهم الله في أن يخفف عن الكافرين ولو يوما واحدا من العذاب، فقالت لهم الخزنة رادين عليهم: ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ أي: أو ما قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل ﴿قالوا بلى قالوا فادعوا﴾ أي: أنتم لأنفسكم، فنحن لا ندعوا لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم، ونحن منكم براء، ثم نخبركم أنه سواء دعوتم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم، ولهذا قالوا: ﴿وما دعؤا الكافرين إلا في ضلال﴾ أي: إلا في ذهاب لا يقبل

---

(٤٣) مؤمن ٤٩.

ولا يستجاب»[٤٤].

فبأي ألم يستقبلون هذه الاجابة من خزنة جهنم، إنهم كانوا إذا سألهم الفقير الحاجة طردوه ولم يستجيبوا لحاجته، وكان الدعاة أصحاب الحق يسألونهم الاقلاع عن المعاصي ولزوم طريق الحق، فكانوا يستهزؤون بهم، ويسخرون منهم في منتدياتهم وإعلامهم، هاهم أولاء يسألون الخزنة فلا يستجيبون لهم، فجزاء إعراضهم عن الحق في الدنيا يجازيهم الله ويعرض عنهم في الآخرة في الاستجابة لطلبهم، حتى ولو للتخفيف وليس للخلاص من عذاب يوم واحد فقط.

٢) رفض الإعتذار:

يقول تعالى « فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون»[٤٥] فإذا كانت التوبة في الدنيا سبيلا للنجاة من عذاب الآخرة، ففي الآخرة لا يوجد سبيل ولا سبب للنجاة من العذاب، والتوبة مرفوضة، والإعتذار والندم ليس لهما أي تأثير في تخفيف أو إزالة العقوبة على الظالمين يقول الرازي « لايطلب منهم الإعتاب وهو إزالة العتب يعني التوبة التي تزيل آثار

---

(٤٤) تفسير القرآن العظيم ٤/٨٣.

(٤٥) الروم ٥٧.

الجريمة، لا تطلب منهم لإنها لاتقبل منهم»[٤٦].

٣) النـــدم:

يتندم الظالم ويعض على يديه من شدة الندم عندما يرى ما كان يوعد به من عذاب، ويبدأ بالتمني أن لو كان جندياً من جنود الدعوة، وعبداً من عباد الرحمن، ويعترف بحسرة بسبب ضلاله.. ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الـرسول سبيلا[٤٧] يويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً[٤٨] لقد أضلني عن الـذكـر بعـد إذ جاءني وكـان الشيطان للإنسان خذولا﴾[٤٩] يقول صاحب الظلال: «ويصمت كل شيء من حوله، ويروح يمد في صوته المتحسر، ونبراته الأسيفة، والايقاع الممـدود يزيد المـوقف طولاً، ويزيد أثـره عمقاً، حتى ليكاد القارىء للآيات والسامع يشاركان في الندم والأسف والأسى!

﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ فلا تكفيه يد واحدة يعض عليها، إنما هو يداول بين هذه وتلك، أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من الندم اللاذع المتمثل في عضه على اليدين، وهي

---

(٤٦) التفسير الكبير ٢٥/ ١٣٧.
(٤٧) الفرقـان ٢٩.
(٤٨) الظـلال ٥/ ٢٥٦٠.
(٤٩) الأنبيـاء ٨٨.

حركة معهودة يرمز بها إلى حالة نفسية، فيجسمها تجسيماً.

﴿يقول يليتني إتخذت مع الرسول سبيلا﴾.. فسلكت طريقه، لم أفارقه، ولم أضل عنه، الرسول الذي كان ينكر رسالته ويستبعد أن يبعثه الله رسولا!

﴿يويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا﴾.. فلانا بهذا التجهيل ليشمل كل صاحب سوء يصد عن سبيل الرسول، ويضل عن ذكر الله..

﴿لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني﴾.. لقد كان شيطانا يضل أو كان عونا للشيطان.

﴿ وكان الشيطن للإنسان خذولا ﴾ يقوده إلى مواقف الخذلان، يخذله عند الجد، وفي مواقف الهول والكرب(٤٨).



الخاتمة

وبعد نهاية المطاف في هذا التجوال بين آيات الله تعالى وأحاديث سيد المرسلين محمد ﷺ والواقع الملموس في هذه الكارثة التي حلت في هذا الوطن الحبيب وشعبه المظلوم لا بد أن نخرج بنتائج محددة، وهي:

(١) أن الظالم ليس من الشرط أن يكون جهة واحدة.

(٢) أن الظلم لا يختص تعريفه بأخذ حقوق الآخرين فحسب.

(٣) أن الظلم يترتب عليه عقوبة ربانية متعددة.

(٤) أن المظلوم قد يكون ظالماً ذات الوقت.

(٥) أن دعوة المظلوم مستجابة.

(٦) أن المظلوم إذا تاب من ظلمه، لا شك أن الله يرفع عنه البلاء، وينتقم ممن ظلمه، وهذا هو الذي يجب أن يكون عليه المظلوم من التأدب مع ربه سبحانه وتعالى،

يعطينا الله تعالى صورة من صور تأدب الظالم عندما يتوب من ظلمه ويعترف بتقصيره، وحياده عن الطريق، هذه الصورة هي صورة رسول الله يونس عليه السلام.

إذ يقول تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه، فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾[٤٩].

فالله تعالى أمره أن يبلغ دعوته لقومه، ويبقى معهم صابراً حتى يتم تبليغ الرسالة، ولكنه يأس من قومه عندما رفضوا دعوته ولم يحتمل فذهب غاضباً عليهم، تاركاً لهم في ضلالتهم فعاقبه الله تعالى لعدم تنفيذ ما كان ينبغي عليه عمله، والتقمه الحوت، ولكن هذا المؤمن الحساس التقي لم ينس ربه حتى وهو في بطن الحوت، وظل يذكر الله تعالى، ويعترف بظلمه، ويستكين لله حتى نجاه الله تعالى من ذلك البلاء.



الفهرس

الموضـــــوع	الصفحة

المؤتمر الطلابي الإسلامي العالمي للتضامن مع الكويت


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com